ويستخلف قوما غيركم ولا تضرونه شيئا انفسكم على كل شيء حفيظ
اي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم او من كان رقيبا على
الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم والذين
امنوا معه قيل كانوا اربعة آلاف فان قلت ما معنى تكرير التنجية قلت
ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت
تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك ان الله تعالى بعث عليهم السموم وكانت تدخل
انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقد اراد بالثانية التنجية من عذاب
الآخرة ولا عذاب اغلظ واشد وقوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذي انعم عليهم
بالتوفيق له وتلك عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيحوا في الارض
فانظروا اليها واعتبروا ثم استأنف وصف احوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا
رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين احد من رسله وقيل
لم يرسل اليهم الا هود وحده كل جبار عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم نعـ
ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم
دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله الا وتكرار
حرف النداء مع الدعاء عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر
من مثل حالهم فان قلت بعدا دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء عليهم بعد هلاكهم
قلت معناه الدلالة على انهم كانوا مستأهلين له الا ترى الى قوله اخوتي لا تبعدوا ابدا
وبلى والله قد بعدوا فان قلت ما الفائدة في هذا البيان
والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة وسما ويجعل فيهم امرا
محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة معتمد
فيهم والاخرى ارم هو انشأكم من الارض لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم والى ثمود اخاهم صالحا

فيها غيره وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب واستعمركم وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة
الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس
الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسأل نبي من انبياء
زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى الله اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معاوية
بن ابي سفيان انه اخذ في احياء الارض في آخر امره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القائل ليس
الفتى بفتى لا يستضاء به ولا يكون له في الارض آثار وقيل استعمركم من العمر كقوله استبقاكم من
البقاء وقد جوز في استعمركم وجهان ان يكون استفعل بمعنى افعل مثل استهلكه
في معنى اهلكه ومعناه اعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم والثاني ان
يكون من العمرى بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها
لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وسأله فينا
فيما بيننا مرجوا كانت تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع
بك وتكون مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا
عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو
ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه يعبد آباؤنا حكاية حال ماضية
مريب من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة
باليقين او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي فان كنت على بينة
من ربي وآتاني منه رحمة فانظروا ان تابعتكم وعصيته في اوامره فمن ينصرني من
عذاب الله فما تزيدونني اذن حينئذ غير تخسير يعني تخسرون اعمالي وتبطلونها
او فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير ان اخسركم اي انسبكم واقول لكم انكم خاسرون
آية نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل فان قلت
فبم يتعلق لكم قلت بآية حالا منها متقدمة لانها لو تأخرت لكانت صفة

غير تخسير الا بمعنى لكن غير مخسرنا اشتغلنا ... فما تزيدونني الا تخسيرا لا تزيدونني الا ... ان تكون صفة لخطاب ... نسبة غير تخسير ... الى الينا

على يقين انه لا شك وكان لان خطابه للجاحدين فكأنه قال قدروا اني على بينة من ربي

Copyright © King Saud University